القرار للبحوث العلمية | مجلة محكّمة | العدد 4، المجلد 2، السنة الأولى | نيسان (ابريل) 2024 | شوال 1445
ISSN 3006-7294

لبنان 1920، إرثٌ تاريخي أمّ هو الحل الأنجز؟

إعداد | أ.د.عماد غرلي

استاذ محاضر في كلية الآداب والعلوم الانسانية – الجامعة اللبنانية

الملخص

كيف يمكن النّظر إلى قيامة الكيان اللبناني في العام 1920؟ إنّ الواقع والحقيقة يحتّمان علينا العودة إلى الأصول التاريخية لهذا الكيان وتاريخه كمنهج علمي يساعدنا على استقراء الوقائع في المكان والزمان، وإلى تقديم قراءة تحليلية من خلال استعراض أبعاد الأحداث التّاريخية ووجهات النّظر التي لعبت دوراً في إرساء مظاهر تاريخ لبنان في المراحل المختلفة منذ ألّفت الجماعات البشرية في الألف الرابع ق.م ومظاهر التاريخ القديم والدّور الحضاري للجماعات والأقوام القديمة التي استوطنت هذه البقعة وكوّنت الشّراكة ما بين البيئة الجغرافية والتفكير الإنساني وولادة الدول/ المدن القديمة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط وفي الداخل، وكذلك ظهور مصطلح ولفظ اسم «لبنان» في اللغات والكتابات القديمة وفقاً للمدلول الجغرافي.

ولعلّ الحركة الفكرية والإمتزاج الحضاري بين الشرق والغرب منذ التاريخ القديم والتّحول في العصور الوسيطة بعد الفتح العربي/ الإسلامي، جعل الكيان يلعب دوراً على المسرح السّياسي والجغرافي في المناطق السّاحلية والجبلية التي يتكوّن منها لبنان الحالي من خلال العلاقات السّياسية والإجتماعية والإقتصادية التي كوّنت النّواة الأولى للتّجمعات البشرية في التّاريخ الوسيط والحديث والتي مهدت لإعلان وولادة الكيان عام 1920، إعلاناً مثقلاً بإرث الماضي التاريخي وحاملاً في طياته الحلّ الأنجز والإرث الثقيل للبعدين الوطني والقومي.

ELQarar For Scientific Research | Refereed Journal | Issue 4, Vol 2, Year 1 | April 2024
ISSN 3006-7294

في هذا الإطار تأتي هذه الدّراسة لتجيب عن عددٍ من الأسئلة: ما هي سياقات الحركة التّاريخية لولادة الكيان اللّبناني؟ ما هي مظاهر التّمايز التي تميّز بها هذا الكيان في الأبعاد السّياسية والدّينية والإجتماعية؟ ما هي الرّهانات والمسارات السياسية والإجتماعية والإقتصادية التي سلكها وما هي الأبعاد المتناقضة لهذه الولادة على الصعيد الديني والوطني والقومي التي أدّت اخيراً إلى تمخّض دولة لبنان الكبير عام 1920؟

الكلمات المفتاحية:

لبنان، جبل لبنان، الموارنة، لبنان الكبير، الإمارة

1- تمهيد

التاريخ هو واجهة الحضارة الانسانية وهو ثمرة جهود فرد أو شعب في مختلف العصور... فالجهد الإنساني بإرثه وتراثه هو تلك الروح التي تدفع نحو التّجدد في تفسير الأمور وتبيان تطوّر المكان بشعبه وحركة تاريخه وربط النّتائج بالأسباب والإستنتاج المنطقي. والبحث في تاريخ لبنان القديم والحديث هو رغبة في سدّ ثغرة تسهم في تشييد صرح لهذا التاريخ، وتنطلق من وحدة المفهوم المبني على أنّ التاريخ علم حيّ يحمل في طياته المكان والزمان ضمن أساليب ومبادئ وأفكار فلسفية تجد لحمتها في الحضارة عامةً. وهذه الحضارة لا يمكن حصرها في إطار الجغرافيا، ولبنان نموذجاً، إذ أنّ ضيق الجغرافيا جعلت من أهله وساكني جغرافيته في التاريخ القديم بلداً عالمياً، لأنه جزء من تاريخ العالم المتحضر(حتي، 1959، ص5).

إنّ أكثر ما يميز تاريخ لبنان هو التّكوين الجغرافي لهذا الكيان الذي ازدحمت فيه الحوادث التاريخية، فنال شُهرة طافت بقاع العالم بجبله في الكتابات والآثارات القديمة. هذا التكوين جعل أبناءه يتحدّون الضّرورات الجغرافية في العيش والطّبيعة ونزاعات وصراعات الامبراطوريات المحيطة التي دفعت أهله لخوض غمار المغامرة والإكتشاف في البحر، فأنشأوا علاقات مع

الفراعنة والحثيين والآشوريين والبابليين والفرس والإغريق والرومان، وأوجدوا مكاناً للعيش والتفاعل الحضاري على المستوى الفكري والثقافي وأعظم ما قدّموه للإنسانية كانت الأبجدية التي جعلوا لها مقاييساً للإنتشار في العالم.

هذا الكيان الجغرافي لم يغب عن التاريخ العربي- الاسلامي بل أوجد له أيضاً مكاناً في حركة تاريخية تمايزت عن سابقاتها بأنّها حملت دلالة استيطانية جديدة شكّلت بداية النواة الأولى للتّجمعات البشرية في تاريخ لبنان الوسيط والحديث.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الشّخصيات والأسر والإمارات العائلية كانت جميعها حاضرة في تاريخ لبنان الحديث وتركت أثراً في صناعة التّاريخ للبنان الكيان والتي ما تزال أخبارهم متناقلة حتى اليوم.

لقد تركت فتنة عامي 1841 و1860 والمسار السياسي الذي سلكته من قبل السّلطات العثمانية والدّول الأوروبية ووجهاء السياسيين ورجال الدين من أهل الجبل أساساً للفكر الثقافي والسياسي والإجتماعي لهذا الكيان وما زال صداها في أذهان اللبنانيين، ومثار جدل دائم بين المؤرّخين في الأبعاد الدّينية والقومية والوطنية منذ قيام دولة لبنان الكبير.

2- لبنان في ذاكرة التاريخ القديم

إقترن اسم لبنان منذ القدم بسلسلة جباله التي تغطيها الثّلوج لفترة طويلة من العام، وتسمية «لبنان» هي جزء من التّركيبة القديمة المشتقة من الجذر السامي ل-ب-ن الذي يلفظ لَبَنْ ويرمز إلى اللون الأبيض، وهناك تركيبة أولى لهذه الكلمة القديمة ليباميم (Li-ba-mim أو ليبانوم كما وردت في مدونات إيبلا، و»لاب-أ-أن» و»لا-أب-نانا» (La-ab-na-na في المدونات الأكادية، و»لا-أب-لا-ني» (La-ab-la-ni))، و»ني-أب-لا-ني» Ni-ib-la-ni))، و»لا-أب-نا-نو» (La-ab-na-nu)) في المدونات الآشورية والبابلية «لبنون» بالآرامية

ولبنان بالفينيقية والعربية Badre, L., Le Liban, Paris, p.17-20) livre et) وهذا إن دلّ على أمر فهو أن اسم لبنان ورد على امتداد التاريخ في الحضارات القديمة وان كانت الجغرافية الطبيعية تستلزم تحديد الحدود الطبيعية حيث اسم البحر الأعلى أو البحر الكبير» أو»بحر أمورو العظيم» (باقر، 2011، ج-2 ص264) ونعني البحر المتوسط غرباً والذي يعتبر الطريق البحري نحو الغرب، بأهميته الطبيعية على صعيد التّجارة البحرية وبالتّالي بوابة الشرق نحو دول وحضارات الشّرق الأدنى القديم فكان واسطة لنشر الثّقافة والتّأثيرات والتّبادل الحضاري والثقافي عبر التاريخ، وقد نالت جباله الغربية التي حملت اسمه شهرةً واسعةً في العصور القديمة منذ العصر الرّوماني بينما عرفت جباله الشرقية بإسم «انتي-ليبانوس» An-ti-Libanos بمعنى «لبنان المقابل»، وهاتين السلسلتين (الشرقية والغربية) كانتا في العصور الجيولوجية سلسلة جبال واحدة. وكان يفصل بينهما سهل البقاع الذي تميّز بخصوبة أرضه وتنبع منه أهم الأنهار: العاصي (الأورونط) و الليطاني (لوتان) والحصباني (أحد أهم روافد نهر الأردن)، أما بالنسبة للحدود الشمالية والجنوبية فهي الجبل الأقرع شمالاً وجبل الكرمل جنوباً (ابو العينين، 1980، 38-15).

أ- الكتابات الأولى في الألف الثالثة ق.م في لبنان

إن أقدم استيطان بشري كان في جبيل ويعود إلى العصر الحجري الحديث في الألف السادس ق.م، وظهرت بشكل «المدينة « ضمن مجموعة من المعابد والمساكن والأسوار في الألف الثالث ق.م ضمن مرفآن يحيط بهما سوار دفاعي، كما ظهرت الكتابة الأولى مرافقة لهذا التّقدم الحضاري نتيجة لتطور الأمور الإدارية وتدوين الحسابات ونشوء الكتابة في مرحلتها البدائية وتطوّرها بالشكل المسماري، كما أظهرت المكتشفات الآثارية المصرية في جبيل، وجود علاقات بين جبيل ومصر الفرعونية (صالح، 2012، ص 208). وكان الفرعون المصري سنفرو قد استورد أخشاب الأرز والصنوبر من لبنان (برنهردت، 1999، ص 35).

كما تظهر بلاد الأرز في ملحمة جلجامش وهي من الأدب العراقي القديم (أوديسة العراق القديم)

(باقر، 2007، ص41) وإن كلكامش وأنكيدو رحلا «إلى غابة الأرز المسحورة ليخلدا اسمهما في سجل الآلهة والأبطال الخالدين(ص 98)، وورد اسم لبنان لأول مرة في النصف الثاني من الألف الثالث ق.م.

ب- الألف الثانية ق.م وعلاقة لبنان مع مصر القديمة

بدأت مصر منذ عهد السلالة الثانية عشرة(1786-1991ق.م) تظهر كقوّة في غرب آسيا وهو ما أظهرته مذكرات سنوحي والعلاقات التّجارية بين فينيقيا ومصر، حيث جاءت مراسلات تل العمارنة كمصدر أساسي عن أوضاع المدن الساحلية في النصف الأول من القرن الرابع عشر ق.م. (Katzenstein,H.J., 1973, p.28)

وتظهر في القرن الثالث عشر هجمات شعوب البحر واندثار حضارة العصر البرونزي في الشرق وسقوط الامبراطورية المصرية واضمحلال الامبراطورية الحثية، وبدأ الدور الآشوري في الشرق الأدنى القديم.

أما الفترة الإنتقالية بين الألفين الثانية والأولى ق.م فتظهر بداية التّاريخ الفينيقي اصطلاحاً، وتمثّل اللغة ذات الأصل السامي والكتابة الفينيقية، وتاريخ الفينيقين الذين كانوا يسمون أنفسهم بأسماء مدنهم وذلك «تبعاً للمعطيات التاريخية والسياسية، فكانوا إما صيداويين أو صوريين... (برنهردت، 1999، ص 101)، وما ميّز هذه الحضارة هي نشأة الأبجدية في الألف الثاني ق.م، وإن كان كثير من الباحثين القدامى قد أقروا بالأصل الفينيقي للأبجدية فإن ديودورس الصقلي قد نفى ذلك، لكننا نجد أنفسنا أمام ثلاثة مراحل لنشوء الأبجدية، وهي الكتابة السّينائية الأولى وتعود إلى القرن الخامس عشر ق.م، والكتابة الأوغاريتية التي تعود إلى القرن الرّابع عشر ق.م والأبجدية الفينيقية وتعود هذه الكتابة إلى حوالي الألف الأول ق.م لناووس احيرام ملك جبيل وتبقى أهمّ الكتابات التي اكتشفت والتي سوف تنتشر على طول السّاحل المتوسطي ووصلت إلى العبرانيين والآراميين واعتمدها الإغريق والرّومان وكان لها

الفضل في ترك أثر حضاري على حضارات العالم القديم.

ج- لبنان في الألف الأولى ق.م

شهد القرن العاشر ق.م ازدهار الساحل الفينيقي تمثّل بنهوض مدينة صور بعد تحرّرها من سيطرة صيدون خلال حكم حيرام (936-969ق.م) وأهمّ ما يميز هذا العصر هو حكم حيرام الصّوري الذي وصلت حدود امبراطوريته إلى جبل الكرمل وبقيت حدود مصر حتى العصر الرّوماني وكانت جبيل وصيدون مستقلّتين، وقد برز تأسيس المستعمرات والمحطات التجارية في حوض المتوسط كموضع تساؤل ودراسات حول أهداف هذا التوسّع توّج بتأسيس قرطاجة سنة 814 ق.م (Thackeray, H.St.J., Vol.1, 121-125) كدولة كبرى بحسب النصوص كحاجة إلى الإستقرار في منطقة تشهد تهديدات متزايدة من قبل الآشوريين والإغريق، ولا ننكر أن مهارة الملّاحين والطّموحات التّجارية جعلت معالم التّاريخ الفينيقي تدخل ضمن التّأثير الإنساني العالمي.

بعد سقوط الامبراطورية الآشورية سنة 612 ق.م، بدأت المدن/الممالك الفينيقية تستعيد دورها وسيطرتها على الساحل الفينيقي، وظهر في هذه المرحلة الصراع الدّولي المتمثّل في أواخر القرن السابع ق.م بين بابل ومصر ونتيجة للتّقدير الخاطىء للمخاطر في التحالفات، بقيت الممالك/المدن الفينيقية تحت الحكم البابلي وعرفت صور في ذلك الوقت مرحلة إنتقالية في الحكم.

حارب الفينيقيون إلى جانب الفرس لحاجتهم إلى قوة بحرية واستمروا طوال العهد الفارسي وعوملوا كحلفاء ونعمت المدن/الممالك الفيينيقية بالتّنظيم الداخلي وكانت توحدها علاقات فيديرالية ومجلس مشترك مقرّه طرابلس (برنهردت، 1999، ص 172).

دخلت فينيقيا ضمن الصّراع الفارسي والفينيقي، وقد سيطر الإسكندر المقدوني على الساحل الفينيقي، و فتحت معظم المدن سلماً إلا صور التي سقطت بعد حصار دام سبعة أشهر

(332ق.م) واستنجد الصوريون بأشقّائهم وخاصة بأهل قرطاجة، لكنّ المساعدات اقتصرت على المؤن والسّلاح فقط. أعيد تقسيم إمبراطورية الإسكندر بين قادة جيوشه وغدت المدن الفينيقية مطمع المتصارعين، واستمرّ الإشعاع الإغريقي في المدن الفينيقية وأصبحت اللغة الإغريقية «لغة الفكر الرّاقي في جميع أنحاء العالم المتمدن»(ص 779). وطغى على البلاد الطابع الهلّيني في ميادين الفكر والفن والدّين.

وفي ظل الحكم الروماني لم يعد لفينيقية كيان مستقل، ولم تقم المدن الفينيقية بأي دور سياسي، لكن بيروت اشتهرت بمعهدها القانوني وهو أقدم معهد خارج روما فدعيت بيروت بـ»أم الشرائع»، ولاحقاً منحت بيروت «نظام المستعمرة الرومانية» وما ينطوي عليها من امتيازات الحكم الذاتي (حتي، 1959، ص 201). وكان نبتون (أو بوزيدون)، إله البحر، إله بيروت، مما يدل على مكانة البحر في حياة هذه المدينة،

وأسّس الرّومان مدناً بكاملها وحسّنوا مدناً موجودة وغيّروا العديد من معالمها كصور، وهياكل بعلبك، وطبّقت بعلبك نظام المستعمرة منذ عهد أغسطس قيصر.

بعد ظهور المسيحية دخلت معظم المدن الفينيقية رغم الإضطهاد الروماني إلى المسيحية في مراحل متعددة إلا أنّ المسيحية أصبحت دين الدولة في عهد ثيودوسيوس (395–379م).

ومهّدت العوامل والصّراعات الاقتصادية والعقائدية والسياسية والعسكرية في الامبراطورية الرومانية لبروز مجتمعات وأنظمة جديدة في جسم الدّولة الواحدة ممّا سهّل الإنتقال إلى كيان وطابع دولي جديد في المشرق والإنتقال من العصور القديمة إلى العصور الوسطى.

3- لبنان في العصور الوسطى والتفاعل بين الشرق والغرب

إنّ أول ما يقال حول فتح العرب لبلاد الشام أنّه كان فتحاً يسيراً وهو ما ذكره البلاذري في كتابه (فتوح البلدان)، ففتحت بيروت وبعلبك عام 635 م وصور وصيدا وجبيل عام 636م (البلاذري،

تحقيق 1988، ص 129) وتعرّضت طرابلس للحصار سنة 635 وخلال «سبع سنوات وقعت المنطقة بكاملها من جبال طوروس إلى صحراء سيناء في أيدي المسلمين» (حتي، 1959، ص 293).

إنّ موقع لبنان الجغرافي جعل العرب المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين يدركون أهمية المدن اللبنانية الساحلية وتحصين الخط الساحلي الذي أصبح تابعاً لجند دمشق وكذلك بعلبك والبقاع ووادي التيم. فلبنان بحدوده السياسية المتعارف عليها حالياً لم يكن موجوداً، ولم تكن أية مدينة (لبنانية) على شاكلة المدن والممالك القديمة تتمتّع بإستقلال ذاتي أو لها أي كيان، لكنّها كانت ضمن الأقاليم الطّبيعية لبلاد الشام وتابعة للسلطة المركزية لجند دمشق (العهد الأموي) (اليعقوبي، تحقيق 1988، ص –87 88) أو للسلطة المركزية في بغداد (العصر العباسي) أو الفسطاط والقاهرة ثمّ إلى الدولة الطولونية أو الأخشيدية أو الفاطمية...

لكنّ هذا الأمر بدأ يتغير في مراحل لاحقة من القرون الوسطى أثناء الحروب الصّليبية والمدلول الجغرافي لكلمة لبنان وإن لم يكن واضحاً في العصور الوسطى وهو يدل على رقعة تضيق وتتسع، إنما هو مدعاة للبحث حول الإطار الجغرافي والتاريخي، كما أنّ هذا اللفظ حظي بكتابات عند المؤرخين والجغرافيين والرحالة وأدبيات العرب والمسلمين، من خلال الأخبار حول المدن اللبنانية، والكتابات التي تدور حول جبال «لبنان» وسواحله (تدمري، 1992، ص 145)، وأكثر ما ذكر لبنان كان مقترناً بالجبل الجغرافي ونذكر ابن جبير عندما تحدّث عن نصارى جبل لبنان إذ قال: «وهذا الجبل من أخصب جبال الدنيا، فيه أنواع الفواكه، وفيه المياه المطردة والظلال الوارفة، وقلّما يخلو من التبتيل والزهادة» (ابن جبير، تحقيق 1986، ص 234) وكان قد ذكره قبله المقدسي وياقوت الحموي، هذا فضلاً عن ما تردّد على ألسنة الشّعراء العباسيين مثل أبي النواس والمتنبي وابن الخرساني... لا يعدو وأن يكون كذلك جبلاً منيعاً، تملؤه الخضرة ويدفق في شراييه الماء، الذي رآه ابن الخرساني أكثر عذوبة من ماء دجلة (بيضون، (1993، ص 153).

أ–قداسة جبل لبنان

أكّد الدكتور عمر تدمري (تدمري، 1992، ص 146) على قداسة جبل لبنان من خلال ما أشار إليه المؤرخون والجغرافيون المسلمون في وصف جبل لبنان الذين ذهبوا إلى أنّ جبل لبنان هو أحد أربعة جبال بُني البيت الحرام منها، وهو ما ورد عند المؤرّخ والمفسّر الطّبري، كما جاء في كتاب البلدان لإبن الفقيه الهمداني الذي قال عن قتادة: بُنيت الكعبة من خمسة أجبُل: طُورسينا وطور زيتا، وأحُد، ولبنان، وحرّاء، وثبير» (ابن الفقيه الهمداني، تحقيق 1996، ص 76)، وهذا ناهيك عن ما ورد في التّوارة في سفر القضاة عندما شبّه الحكيم سليمان عروسه به: «هلمّي معي من لبنان يا عروس، معي من لبنان، بالإشارة إلى جبل لبنان وأهله»، كما يشير العهد الجديد إلى بعض المدن اللبنانية القديمة التي كان يزورها المسيح وتلاميذه، مثل صور وصيدا، والتي كانت تعرف بفينيقيا.

وهنا لا يسعنا إلّا أن نؤكّد أنّ لفظ لبنان ومدنه وقراه كانت موجودة في كلّ العصور ولها رمزيّتها ومكانتها في حركة التّدوين التاريخي بمعزل عن التّطابق الجغرافي للكيان السياسي الحالي وإن كانت الأخبار نادرة لكن المصنّفات الجغرافية حول الأقاليم والبلدان، وكتب الرّحلات، والطّبقات، والرّجال، والأنساب والمعاجم، والخراج والنّقوش، والمكتشفات الأثرية... كانت تفيدنا بالمعطيات والأحداث والوقائع والحقائق التاريخية والإتجاهات السياسية والاجتماعية والحضارية وبالمعطيات التاريخية الموضوعية.

ب– الموارنة والتاريخ اللبناني

إرتبطت الطّائفة المارونية بتاريخ لبنان منذ الإنفصال عن الكنيسة البيزنطية وكان نصارى المناطق الشّمالية من لبنان منذ زمن الفتح الاسلامي بمعظهم على مذهب الملكية، وليس على مذهب اليعاقبة وكان فريقاً من الطائفة الملكية يعرف «بالمارونية» نسبة إلى مارون النّاسك، وهو قدّيس نشط في شمال الشّام في أواخر القرن الميلادي الرابع وأوائل القرن

الخامس» (الصليبي، 1992، ص 37) واستمدّت المارونية اسمها منه، وقد أشار الشيخ أسعد جرمانوس إلى أنّ الموارنة قد «رحّبوا بالفاتح العربي على أنّه، بصرف النّظر عن الدّين، أخٌ سامي حرّر إخواناً له ساميين من جور الرّومان والبيزنطيين» (جرمانوس، 1996، 22). كذلك شكّل(الجراجمة–المردة–الموارنة) حركة استيطانية شهدها الجزء الغربي من بلاد الشّام وخصوصاً في لبنان الجبل (ص 23)، وقد هاجر الموارنة إلى جبل لبنان بسبب الصراع المذهبي وضغط اليعاقبة عليهم وخاصة بعد إنعقاد المجمع المسكوني عام 680 م.

وفي عهد الدّولة الأموية الأولى إتّسمت العلاقات مع النّصارى بالمودّة (البلاذري، تحقيق 1988، ص 165)، وإنكفأ الموارنة في عزلة في الجبل في حياتهم الدينية والاقتصادية (بولس، 1973، ص 245) أمّا في العصر العباسي فيشير الدكتور فيليب حتي إلى هجرة عدد من الموارنة إلى قبرص بسبب اضطهاد العباسيين لهم ولا سيّما في عهد المتوكل (861–847) وقد حصل نفس الأمر في العهد الصليبي، وتعدّ الجالية المارونية في قبرص من أقدم الجاليات في المهجر (حتي، 1959، ص 307)، واستمرّت هذه الطّائفة على حالها وقد استرعت أنظار روما أثناء الحروب الصّليبية، لكن الإتّحاد الكنسي الكاثوليكي لم ير النور إلا في القرن الثامن عشر.

ج– الإمام الأوزاعي ودفاعه عن أهل لبنان

برزت شخصية الإمام الاوزاعي أثناء أفول الخلافة الأموية وسطوع نجم الخلافة العباسية، ونقل مركز الخلافة من دمشق إلى الكوفة، ثم إلى بغداد، وينحدر الإمام من قبيلة (أوزاع) التي هاجرت إلى بعلبك حيث ولد في العام الثامن والثمانين للهجرة زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك (طبارة، 1965، ص 12) وقد وصف بأنه «إمام أهل الشام وعالمهم» (بن يحي، 1898، ص 23).

واكب الإمام الاوزاعي الحركة السياسية للعباسيين وخاصّة في ما يتعلق بتهميش ولاية الشام، ويذكر البلاذري في (فتوح البلدان) ما يأتي «حدثني محمد بن سعد الواقدي وقال: «خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك، فوجّه صالح بن علي بن عبدالله بن عباس من قتل مقاتلهم

وأقرّ من بقي منهم على دينهم، وردّهم إلى قراهم، وأجلى قوماً من أهل لبنان عن قراهم».

وقد عرفت بثورة المنيطرة، هذا الأمر دفع بالإمام الأوزاعي إلى توجيه رسالة إلى صالح بن علي عامل خراج بعلبك العباسي وقد حفظ منها ما يلي: «كان إجلاء أهل الذّمة من جبل لبنان من لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه، ممن قتلت بعضهم، ورددت باقيهم إلى قراهم، ما قد علمت، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم وحكم الله تعالى «لا تزر وازرة وزر أخرى» وذلك أحق ما وقف عنده واقتدى به، وأحق الوصايا أن تحفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنّه قال (من ظلم معاهداً وكلّفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة) (البلاذري، تحقيق 1988، ص –162 163).

تتصّف هذه الرّسالة بالتنبيه والتحذير، وروى المؤرخون أنّه لما بلغ الوالي كتاب الإمام الاوزاعي «كف عما أراد وسمح للذين جلوا بالعودة إلى منازلهم وممتلكاتهم، وألغى ما فرض عليهم من ضرائب مرهقة» (طبارة، 1965، ص 238).

وبعد ثورة المنيطرة قام العباسيون بترتيب الأوضاع في بلاد الشام وشهد الساحل اللبناني هجرة جماعية – كانت طليعتها قبيلة «تنوخ» بقيادة الأمير منذر بن مالك الذي رفقه أخوة الأمير أرسلان وآخرون، الذين إلتقوا بالخليفة العباسي المنصور «بدمشق لما قدم اليها وتوطنوا بجبال بلدتنا هذه (أي بيروت)» (ارسلان، 1935، ص 234).

ج– لبنان من عهد الفرنجة إلى المماليك

بعد أن أطلق البابا أربانوس الثاني نداءه الشهير في مدينة كلرمون–فران الفرنسية عام 1095 داعياً إلى استرجاع الأراضي المقدسة والسّيطرة على الشرق (J., Richard, 1980, p.19) ، واتّفق على تسميتها بالحروب الصليبية.

منذ العام 1099م، بدأت هذه الحملات تؤثّر على المناطق اللبنانية، التي راحت تتساقط إمّا سلماً أو حرباً وبخاصة المدن الساحلية. وبعد فترة خضعت المناطق اللبنانية بإستثناء الأجزاء

السهلية والجبلية، وتباينت آراء المؤرخين حول مواقف اللبنانيين من الفرنجة، فمنهم من اعتبر أن السّكان المسيحيين عامّة والموارنة خاصة قد رحّبوا وتعاونوا معهم (مزهر، 1956، ج–1 ص 199)، والأرجح أنّ الموقف لم يكن موحّداً حيال الإفرنج، ففي حين رحّب بهم موارنة الساحل، بقي موارنة المناطق الجبلية من أبناء العشائر في جبة ومرتفعات بلاد جبيل والبترون متحفظين كما تحفظوا أيضاً تجاه المسلمين قبلهم، وخاصة بعد الحملة التأديبية التي قام بها ريْموندْ الثاني ضد عشائر الجبل (الصليبي، 1992، ص –91 92).

أما الدروز من بني جندل ووادي التيم وجبل الشوف فظلّوا على ولائهم للفاطميين مع الإحتفاظ بعلاقة جيدة مع الفرنجة (إبن الاثير، تحقيق 2009، ص –640 641).

أما الأمراء التنوخيين في بيروت (المتن والغرب) فاستمرّوا تابعين لأتابكة دمشق. والطائفة الشيعية في جبل عامل بحسب ما ذكره ابن جبير بإشارته إلى الناس هناك فكانوا على وفاق مع الفرنجة ويؤدّون الجزية لهم: وقد وصف الحال «ورحلنا من تبنين... وطريقنا كلّه على ضياع متصلة وعمائر منتظمة، سكانها كلها مسلمون، وهم مع الإفرنج على حالة ترفيه... وذلك أنهم يؤدون لهم نصف الغلّة أو أن ضمها وجزية على كل رأس دينار وخمسة قراريط ولا يعترضونهم في غير ذلك» (ابن جبير، تحقيق 1986، ص 247).

نجح المماليك بقيادة المظفر قطز (1260–1259م) في إبعاد الخطر المغولي عن بلاد الشام إثر موقعة عين جالوت، ثم اتجه لمواجهة الفرنجة، وتابع الظّاهر بيبرس بعد تسلّم الأشرف خليل تكملة الفتوحات في جميع البلاد الساحلية وقد بلغت أهدافها سنة 1291م.

قسّمت بلاد الشام إدارياً في عهد المماليك، وكان سكان لبنان من المسلمين والمسيحيي وشمل التّقسيم الإداري تقسيم لبنان إلى ثلاثة أجزاء في ثلاث نيابات، وجاء القسم الأكبر من لبنان في نيابة دمشق، وكانت قاعدتها بعلبك (سبيتي، 2008، ص 46) ومن ضمنها (البقاع العزيزي وقاعدته كرك نوح، وولاية صيدا وتشمل جبل الشوف، وولاية بيروت، وتشمل جبل الغرب

والمتن والجزء الأكبر من جبل كسروان)، أما القسم الجنوبي من لبنان فكان ضمن نيابة صفد ونيابة طرابلس شملت نواحي جبيل، وتتبعها عدة ولايات ومنها بلاد الضنين (الضنية) وبسرية (بشرّي).

وما يستوقفنا هو أنّ سلاطين المماليك كانوا على علاقة جيدة مع الموارنة بسبب علاقة المماليك مع جمهورية البندقية (في القرن الثالث عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلادي) إذ أن البندقية كانت تسيطر على التّجارة بين أوروبا والشرق، وسمحوا للبعثات التبشيرية الكاثوليكية (الأخوة الصغار الفرنسيسكان) بإقامة كنيسة لهم في بيروت ما عزّز صلة الوصل بين الكنيسة المارونية والبابوية في روما حتى نهاية حكم المماليك (الصليبي، 1993، ص 215).

4- لبنان في العهد العثماني من الإمارة إلى التنظيمات

ظهر الأتراك كقوّة جديدة في الشرق على السّاحة الدولية وفي معترك الصّراع العالمي، وتبدّلت السياسة العثمانية حيث عمد السلطان سليم الأول على خلع والده بايزيد الثاني من الحكم عام 1512 بمساعدة الإنكشارية (مصطفى، 2003، ص 76)، وكان السلطان الجديد يدرك الخطر على الحدود الشرقية من الصفويين، وفي ذروة هذا الصراع كان المماليك يحكمون أراضي سوريا ومصر. وزحف الجيش العثماني وخاض معركة مرج دابق سنة 1516 انتصر فيها السلطان العثماني على بلاد الشام ثم استولى على مصر وأنهى حكم المماليك، وقد أبقى الأتراك على التّقسيمات الإدارية التي أنشأها المماليك وأدخلوا عليها بعض التعديلات، لكن النيابة التي أنشأها المماليك أصبحت ولاية عند الأتراك (حتي، 1959، ص 439).

أمّا في لبنان فقد ظلّ الحبل بمأمن من الفاتح الجديد، وتوافد أمراءه إلى دمشق لملاقاة السلطان سليم بعد رجوعه من فتح مصر عام 1517 والتقى الأمير فخرالدين بأمراء محليين كالأمير

جمال الدين اليمني والأمير عساف التركماني وغيرهم وألقى الأمير المعني خطاباً، منحه السلطان العثماني على أثرها حكم المناطق الجبلية التي تعرف بإسم بلاد الدروز، وعيّن الأمير عساف على كسروان وبلاد جبيل (حقي، تحقيق 1969، ص 332). لكنّ نجم التنوخيين بدأ بالأفول لأنهم كانوا من محاربي المماليك الجراكسة، أمام أسرة بني معن الصاعدة.

أ- الإمارة المعنية ما بين المتغيرات الدّولية وطموحات الأمير

إنّ صعود الإمارة المعنية مع بدايات القرن السادس عشر الميلادي ترافق مع تبدّلات كبرى على الصّعيد الدّولي والإتصالات والعلاقات التجارية والدينية وتقاسم النفوذ في البحر المتوسط وانقسام الشرق والغرب بين (الإسلام والمسيحية) (G.,Grunebaum, p.199) ، وشكلت المناطق الجغرافية للكيان اللبناني الحالي ساحلاً وجبلاً، مسرحاً لها.

بقيت الأسر الإقطاعية في لبنان على حالها واستمرت هذه الإقطاعات تدار من قبل أمير أومقدّم أو شيخ. فكان العساقيون يسيطرون على كسروان وآل حرفوش على بعلبك وآل سيفا على عكار وأصبحوا حكّاماً لطرابلس في نهاية القرن السادس عشر، كما ظهرت منازعات وصراعات، منها صراع التنوخيين والعساقيين وآل سيفا، وآل سيفا وآل شعيب في عرقا (عكار). لكنّ ما ميّز تاريخ لبنان في تلك الفترة هو حكم الأسرة المعنية التي أصبحت أبرز أسرة درزية حاكمة في الجبل ونالت دعم الحزب القيسي الذي يضم أسراً من غير الدروز كالشّهابين السنّة في وادي التيم وحبيش وآل الخازن الموارنة.

بعد مقتل الأمير قرقماز عام 1585 في حملة على الشوف من قبل العثمانيين، خبأت والدته الأمير فخر الدين وشقيقه يونس عند آل الخازن في بلّونه (كسروان) ثم أقام الأمير عند خاله سيف الدين التنوخي في عبيه، واهتم هذا الأخير بإعادة الزّعامة إلى الشوف، وفشل أمراء الشويفات (اليمنيون) في ضبط الأمور في الجبل، ما حذا بوالي دمشق على إعادة الإمارة إلى الأمير فخرالدين المعني الثاني عام 1590 (قرباه، 1978، ص 53).

عمل الأمير فخر الدين الثاني على تثبيت أواصر حكمه وإمارته وتوسيعها مستغلاً إنشغال الدولة العثمانية في حروبها ضد الفرس والمجر حتى بسط حكمه على أراضي أمراء البقاع الحرفوشيين وكسروان والمدن الساحلية والإقليم الممتدة إلى صفد وعجلون وبيروت وصيدا، هذا فضلاً عن قسماً من أملاك يوسف باشا سيفا حاكم كسروان وطرابلس (حقي، تحقيق 1969، ص 335- 336)، ما يعني أنّ الإمارة المعنية كانت تشمل أغلب مناطق الكيان اللبناني الحالي.

أدّت طموحات فخر الدين الكبيرة إلى استفحال العداء بينه وبين الأمراء الإقطاعيين بالإضافة إلى توجّس ولاة دمشق منه. وعمل فخر الدين على حماية الشّؤون الإدارية والعسكرية في الجبل كما حظي باحترام الدّول الأوروبية وذلك من خلال التسهيلات التي قدّمها للقناصل والتّجار الإيطاليين والفرنسيين، وتأييد الموارنة له (فوستنفلد، 1886، ص 199- 204)، والبابوية في روما وقد تجلّى هذا التأييد في المراسلات بينه وبين البابا أوربانوس الثامن.

لا شكّ أنّ الأمير فخر الدين المعني الكبير أثار مخاوف سلطة الباب العالي من خلال تمدّد نفوذه والتّصرف باستقلالية وخاصة عند اعتماده قنصل لتوسكانا دون علم السلطات العثمانية، فأرسلت أحد ولاتها أحمد باشا الملقب (بكجك أحمد) لقتال فخر الدين بقوات برية وأسطول بحري على طول الشاطئ والمرافئ، فطلب المساعدة من توسكانا لكنّها لم تصل، فهزم عام 1624م وهرب واستسلم واقتيد أسيراً إلى استنبول وكان مصيره الإعدام.

لا شكّ أن محاولة فخر الدين الاستقلالية كانت أولى المحاولات لإنشاء كيان يشبه الكيان الحالي، وتجربته الطويلة في إدارة البلاد والبلاط وجمع المستشارين من كافة الطّوائف والخبرات مهّد من أجل تطوير العلاقات والإتصالات مع الدول الأوروبية (طرابلسي، 2008، ص 32)، ما أعطى ديناميكية لجبل لبنان بحنكة سياسية إستفاد عبرها من المتغيرات الدّولية لكنّه فشل في حماية نفسه، وحماية الأسرة المعنية لاحقاً بعد تجدّد الإنقسامات القيسية اليمنية في الجبل ووادي التيم وعاد نفوذ آل علم الدين من الحزب اليمني واستمر إلى عام 1697، ثم تولى إمارة

الجبل الأمير منصور بن يونس الشهابي، وآلت الإمارة منذ ذلك الحين إلى الشهابيين.

ب- الشهابيون ما بين التّوريث والفتنة:

لا شك أنّ الأسرة الشهابية هي الأقرب لتورّث الزّعامة بسبب المصاهرة وأيضاً لجهة الإنتماء إلى الحزب القيسي الذي تزعمه المعنيون طوال حكمهم، واجتمع أعيان الأسر واختاروا الأمير بشير (أمير راشيا) بالوكالة عن الأمير حيدر ريثما يبلغ رشده (الشهابي، 1969، ص 4). تسلّم الأمير بشير الحكم في مطلع عام 1698 واستطاع التغلّب على الحزب اليمني بزعامة آل علم الدين وأطلق على نفسه لقب بشير الأوّل وبدأ يتوسّع جنوباً باتّجاه جبل عامل وشمالاً باتّجاه جبل لبنان ثم تولّى بلاد جبيل والبترون بتفويض من ارسلان باشا والي طرابلس وأخضع مشايخ آل حمادة وأرغمهم على دفع الجباية من الأموال السلطانية.

ولمّا تسلّم الأمير حيدر سنة 1706 الحكم بعد وفاة الأمير بشير مسموماً في حاصبيا عمل على ترتيبات جديدة بين الأمراء فقاتل آل علم الدين وكاد أن ينهي على اليمنيين وبرزت أسماء أسر جديدة من الأسر الدّرزية كالارسلانيين والجنبلاطيين وآل تلحوق وآل علم الدين وهم من الأرستقراطية الدرزية التي ما زالت حتى يومنا هذا (حتي، 1959، ص 472).

إمتدّ نفوذ الإمارة الشهابية السّياسي والإقتصادي والعسكري إلى مناطق جديدة ما جعلهم يعتمدون على عاصمتين للإمارة دير القمر العاصمة التقليدية للإمارة وبيروت العاصمة الساحلية (حقي، تحقيق 1969، ص 341) وهي بمعظمها ولاية الأمير فخرالدين الكبير، وهذا ما حثّ الدكتور فيليب حتي على القول: «الشهابيون يوطدون أركان لبنان الكبير» (حتي، 1959، ص 473). وأهم ما حصل في تاريخ الإمارة هو تنصّر الشّهابيين والمعنيين في إمارة الشوف والذي أدّى إلى انعطاف في السياسة الشهابية، وبالتّالي في تاريخ لبنان إذ أعطى دافعاً قوياً للبعثات التّبشيرية المسيحية وزاد الانفتاح على أوروبا التي كانت العلاقات قد انقطعت معها منذ أيام الأمير فخر الدين الثاني، وهيّأت الجبل ليكون مركزاً لمرحلة جديدة من التاريخ اللبناني

وللتواصل الحضاري والقومي بين الطّوائف اللبنانية، وكان للموارنة الدّور الأبرز في ذلك، على الرغم من الأحداث الأليمة التي حصلت لاحقاً.

نشأت خلافات داخل الإمارة الشهابية وتسلّم الأمير بشير الثاني الكبير حكم الإمارة عام 1788وكان قد تنصّر مارونياً، وسط نقمة الأهالي والمقاطعجين والصّراعات الدينية. وبعد تعزيز دور الموارنة الإقتصادي والسّياسي على حساب الإقطاعيات التّقليدية الدرزية، استولى على أراضيهم وأحل محلّهم فلاحين موارنة (لوتسكي، 1985، ص 84)، وبدأ والي صيدا أحمد باشا الجزار بالتّدخل في الشّؤون الداخلية للإمارة وأمسك بزمام السلطة السياسية، ولم تستتب السّلطة للأمير إلّا بعد وفاة الجزار عام 1804.

وطّد الأمير بشير سلطته ووسّع حدود إمارته وتحالف مع والي عكا سليمان فأطلق يديه بتوليه حكم الشوف وكسروان وبلاد جبيل ودانت البقاع له مع آل حرفوش وامتدّ حكمه حتّى حدود دمشق شرقاً وطرابلس شمالاً وصيدا جنوباً، كما استطاع أن يجمع أهل إمارته من الجنبلاطيين واليزبكيين. واجه الأمير بشير خصومات عديدة منها عامية انطلياس عام 1821من نصارى الجبل، وحارب ضد الشيخ بشير الجنبلاطي وانتهى الصراع بإعدام الشيخ بشير على بوّابة عكا تنفيذاً لأمر محمد علي باشا حاكم مصر وإستجابة لطلب الأمير بشير الثاني (ابو شقرا، 1953، ص 13).

وبعد دخول جيش محمد علي باشا عام 1831 إلى بلاد الشام بقيادة ابنه ابراهيم باشا، انضم الأمير بشير بقواته إلى جانب الجيش المصري ضد القوات العثمانية ونشأت ردود فعل مختلفة في الإمارة بين مؤيّد ومعارض. والمؤيدون كانوا من الموارنة الذين اعتبروا المصري صديقاً لهم وألغى القيود بحقهم أمّا المعارضون فكانوا من أعيان الدّروز الناقمين على حكم الأمير بشير وحليفه بسبب قضائهم على زعمائهم والتحقوا بمعسكر الدولة العثمانية (رستم، 1966، ص 60-59).

وقامت ثورات تمرّد ضد الحكم المصري بسبب التّجنيد الإجباري والسّخرة والضّرائب الفادحة بالإضافة إلى القيود على التجارة والمواد. وعاد العامل الدّولي المتمثّل بالمصالح الأوروبية للتّدخل المباشر في الصّراع المصري العثماني وإنهاء الحكم المصري وكان إيذاناً بنهاية الأمير بشير الثاني الذي غادر الإمارة إلى مالطا منفياً.

وهنا لا يسعنا إلا القول أن حكم الأمير بشير والفترة الشهابية عامّة ساهما في تثبيت حكم الجبلين معاً الدروز وجبل لبنان كإستمرارية للحكم لكنّ فتنة 1841– 1844 أدّت إلى نظام القائمقائمتين والقسم الشمالي للنّصارى والقسم الجنوبي للدروز جاعلاً طريق الشام القديمة فاصلاً بينهما (حقي، تحقيق 1969، ص 48) وقد عزا بعض المؤرخين أسباب هذه الفتنة إلى الحكم المصري أيام محمد علي باشا بسبب وقوف الأمير بشير معه ونصارى الشوف والجبل إلى جانب المصريين في حربهم ضد الدّروز سنة 1838.

كما لا بدّ أن نقرّ بأن العهد الشهابي كان رائداً في الحركة الفكرية والثقافية التي أغنت التّراث العربي والعلوم، فانتشرت المدارس في الجبل وبيروت ومدن الساحل والإرساليات الأجنبية والمدارس الوطنية الدينية ورجال الفكر والأدب أمثال بطرس البستاني وناصيف اليازجي، وإغناء اللغة العربية كما بدأت إرهاصات القومية العربية بالظهور في بلاد الشام ومنها لبنان الكيان بعد حملات محمد علي باشا.

ج- من نظام القائمقامتين إلى التّنظيمات العثمانية

بموجب نظام القائمقاميتين عيّن والي صيدا أسعد باشا حيدر ابي اللمع قائمقام المنطقة الشمالية وأحمد أرسلان قائمقام المنطقة الجنوبية واستثنيت دير القمر التي تسكنها الغالبية المسيحية من القائمقاميتين وتقرّر أن يكون لها استقلالاً ذاتياً ويديرها وكيلان ماروني ودرزي من سكانها يرجع كل منهما إلى قائمقامه (A. Ismail, vol. 4, Beyrouth, 1958, p.207).

كذلك أرسلت حملة عسكرية إلى الشوف لمنع أيّ صدام بين الفريقين على أثر تفاقم الأزمة حول

مسألة رسم الحدود الجغرافية، وتبعية النصارى والدروز بسبب التوزيع الديمغرافي المختلط، وخاصة في الأمور المتعلقة بالصّلاحية المالية والقضائية فما كان من السلطنة العثمانية إلّا أن أعطت الحقّ لنصارى القائمقامية الدرزية بالرجوع إلى السلطة المسيحية في هذه الأمور(الصليبي، 1992، ص 98)، ورحّب أعيان الدروز والقنصل البريطاني الكولونيل روز بالحل العثماني.

كما استجدّ أمر أخر داخل قائمقامية النّصارى قبل الإعلان الرسمي وهو إحتجاج طائفة الرّوم الأرثوذوكس المدعومين من قنصل روسيا وبريطانيا وقد طالبوا بتعيين قائمقامية خاصة بالروم الأرثوذكس في المناطق الشمالية من جبل لبنان (طربين، 1966، ص 72)، فتدخّلت فرنسا لمنع تحجيم سلطة الأمير حيدر ابي اللمع وكان لها ما أرادت.

إختلفت التّرتيبات الإدارية المتخذة في القائمقامية، ففي الجنوب تمّ تعيين خمسة من مقاطعجية الدّروز بينما تضرّر المقاطعجيون الموارنة ما زاد في الإنشقاق بين مشايخ الإقطاع والفلاحين الذين ساندهم رجال الدين الموارنة وخاصة بعد وفاة البطريرك يونس حبيش المنتمي إلى أسرة إقطاعية ووصول البطريرك بولس مسعد ودوره في ثورة طانيوس شاهين وحركة العصيان ضد الإقطاعيين. وقد طرح الدكتور عصام خليفة عدّة آراء في هذا النطاق معتبراً أنّ الدعم في المرحلة الأولى ودعم الإكليروس الماروني للفلاحين والعمل على إضعاف أسيادهم التقليديين والمشايخ الاقطاعيين، أدّى إلى تقوية مركز الطبقة الإكليروسية، التي كان لها الدّور التّوفيقي في المرحلة الثانية وإنهاء العصيان (خليفة، 1985، ص 29– 35). واستمرّت النّزاعات بين الدروز والنصارى، وتوالت العرائض من الأساقفة المسيحيين إلى القناصل الأوروبية لمنع الويلات والخراب. وفي 9 تموز 1860 دعا خورشيد باشا زعماء النصارى والدروز إلى بيروت لتوقيع ميثاق حكم في بيروت، وبعد توقيعه اندلعت حرب طائفية في دمشق أدّت إلى قتل عدد كبير من النّصارى وتخريب البيوت والكنائس، ما دفع الأوساط المسيحية في جميع العواصم الأوروبية إلى التدخل ودفع بالسلطات العثمانية إلى محاولة درء هذه الفتنة. أمام هذه التّدخلات

والمفاوضات بين ممثلي الدول الأوروبية، عقدت مشاورات ومناقشات، وتمّ تقديم اقتراحات من خلال لجنة أقرّت بالإتفاق على مواد نظام جبل لبنان الأساسي في 9 حزيران 1861 (طربين، 1966، ص 373– 379) الذي أبلغه الصّدر الأعظم عالي باشا إلى سفراء الدّول رسمياً واتّخذ شكل فرمان سلطاني.

وهذا ما كانت تطمح اليه فرنسا عام 1840 أي حكومة مستقلة في لبنان برئاسة حاكم ماروني منذ العهد الشهابي. لكن النّظام نصّ على أن يكون المتصرف مسيحياً من غير مواطني جبل لبنان ما اعتبر بمثابة تدخّل أوروبي مباشر في شؤون السّلطنة من النّصح والمساعدات والمعاهدات والإمتيازات الفردية إلى المراقبة المباشرة ولا بدّ من القول أن إدارة نظام المتصرفية أوجدت إدارة جديدة في حقل التنافس بين القوى الاجتماعية فأصبح مجلس الإدارة مسرح صراع بين المتصرف والإكليروس الماروني (كوثراني، 1978، ص 77– 78).

5- الإرث الثّقيل وولادة الكيان

بعد دخول السلطنة العثمانية الحرب العالمية الأولى في 3 تشرين الثاني 1914 إلى جانب المانيا، دخل المشرق العربي مرحلة جديدة من الصّراعات الدولية وكانت نتائج الحرب متوقعة نتيجة هذا القرار الخاطئ، وظهرت مشاريع تقسيم تركة الدولة العثمانية من قبل فرنسا وبريطانيا، ولعبت «القوى الإقتصادية والدينية الدور النشيط على السياسة الفرنسية في المشرق» (خليفة، 1993، ص 571)، وبرزت أهداف السياسات البريطانية في المشرق العربي، وأخذت معالم المنطقة الجديدة تظهر متأثرة بمفاوضات مكماهون والمفاوضات السرية بين الحلفاء وما نتج عنها كإتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور.

وتمّ التنفيذ على عدة محاور: حصار بري وبحري للمشرق العربي، نقمة داخلية بسبب المجاعة وقلة الموارد، السياسة العثمانية ضد المواطنين والحركات الوطنية في لبنان وسوريا، إعلان

الثورة العربية الكبرى التي مدّتها دول الحلفاء بالعتاد والخبرات العسكرية، أما العامل الأخير فهو فشل جمال باشا في حملته في قناة السويس سنة 1915.

كذلك حلّت متصرفية جبل لبنان من قبل العثمانيين ودخل الجبل ضمن الحكم العسكري المباشر وحلّ مجلس إدارتها وأصبح يتبع للحكم العثماني المباشر.

بعد انتهاء الحرب وانسحاب العثمانيين من بلادنا عام 1918، دخل المشرق في نفق مجهول بين ما يريده الممثل الجديد وطموحات الشعوب وكان لبنان في خضم هذا الصراع وقد تجلّت مظاهر التّباين في آراء أهله حول مستقبل بلادهم.

أ- البعد القومي

من الواضح والأكيد أن أهل لبنان كانوا ينقسمون شيعاً متفرقة: «هذا فرنسي وذلك انكليزي، وذاك روسي، وهذا عربيّ النزعة، والآخر عدوّ العروبة، وهذا مخلص للدولة العثمانية، والآخر يتآمر عليها...» (بيهم، 1969، ص 205).

وكانت الأفكار القومية قد وجدت مفاهيمها منذ الإرهاصات الأولى أيام الأمير بشير الشهابي الثاني فجمع الشعراء والأدباء منذ منتصف القرن التاسع عشر، وكان لبنان في طليعة المسهمين في تحقيق النّهضة العربية الحديثة، سواء عن طريق المدارس، أو الصّحف والمطابع، أو الجمعيات ومركزاً للتّفاعل بين الحضارتين العربية والغربية.

كانت سنة 1918 الحدّ الفاصل في التاريخ العربي بين آمال العرب وجزء من أهل لبنان بالتّحرر وقد اتخذوا «علم التحرير العربي» رمزاً لهم. فعمّت الفوضى وخلّفت إرثاً ثقيلاً من التّشكيك والخيبة في العلاقات السياسية بين العرب والدول الأوروبية والغربية عامةً لا تزال رواسبه حتى الآن (زين، 1977، ص 76).

هذا الانقسام في الآراء بين أهل لبنان ولد بسبب ما خلّفته الأجواء السياسية والعسكرية في المشرق بين أكثرية إسلامية طالبت بالوحدة وأكثرية مسيحية طالبت في جبل لبنان والمنطقة

الساحلية والبقاع وبتوسيع حدود المتصرفية وبإنشاء دولة مستقلة عن سوريا، ولكنهم لم يفعلوا ذلك كرهاً بالعروبة والوحدة بل ضماناً لمستقبلهم ولوجودهم، بدليل أنّ توسيع حدود المتصرفية كان من سكان من خارج الطوائف المسيحية ولإيجاد كيان سياسي قابل للحياة (حكيم، 2008، ص 115).

وبعبارة أخرى، اعتبر الفرنسيون قرار الدول الكبرى في مؤتمر سان ريمو بتقاسم البلدان العربية بمثابة تفويض كامل لحكومة باريس بأمور لبنان وسوريا. بل إن الفرنسيين عملوا منذ البداية على التّعاطي مع نظام الانتداب وممارسته في سوريا ولبنان لا وفق روحه ولا بما يتوافق مع نصوصه وأهدافه وإنما، كما عبّر عنه رئيس وزراء بريطانيا آنذاك لويد جورج، على أنه في جوهره بديلاً عن الاستعمار القديم (زين، 1977، ص 160).

ب- البعد الوطني

من الواضح أن واقع لبنان قد تغيّر بعد 1 ايلول 1920 أي بعد احتفالية إعلان دولة لبنان الكبير، وكانت رغبة رئيس الحكومة الفرنسية ميلران والتي استهدى بها الجنرال غورو تقضي بضرورة العمل على «فَرْنسة لبنان» بأكبر قدر ممكن، ساعده على ذلك ما كان يحمله هذا الجنرال من نزعة استعمارية شديدة الفعالية في دوائر الحكم الفرنسي في ذلك الوقت. وكانت نقطة التحول الأساسية في صورة لبنان الجديد أنه مثّل كل الطّوائف دون أغلبية عددية تسمح لأية طائفة بالهيمنة والسيطرة.

بعد مئة عام ونحن نعيش هاجس التأسيس نحلل الجغرافيا والديمغرافيا والمشاعر القومية والوطنية، ولكننا إذا أردنا أن نعرف ماذا يحصل في لبنان بعد مئة يجب أن ننظر إلى الرسالة الرعوية للبطريرك الياس الحويك التي يعود تاريخها إلى عام 1931 أي بعد 11 عاماً على ولادة لبنان الكبير «أيها الحكّام رؤساء البلاد، يا قضاة الأرض، أنتم نوّاب الشعب الذين يعيشون على حساب الشعب، أنتم ملزمون بصفتكم الرسمية ووفقاً لمسؤولياتكم بتحقيق المصلحة العامة، وقتكم لا يخصّص لمصلحتكم، عملكم ليس لكم، بل من أجل الدولة والوطن الذي

نفسه.

لبنان اليوم فعلاً صفحة غير مكتملة لأننا مازلنا حتّى الآن نبحث عن الهوية والجغرافيا، لكنّ تاريخنا ناصع يحمل أمجاد كبار مّروا على هذه الأرض وأخذوا بحتميّة التاريخ وأخذوا الحقائق أسساً لازمة لحياة لبنان بماضيه وواقعه ومستقبله، لا بالحواجز الاجتماعية والدينية والفكرية والسياسية.

لبنان 1920، يجب النّظر إليه من منظار القرن الواحد والعشرين لأنّه بلد يستحق الحياة. يحمل إرثاً ثقيلاً من تبعات الماضي لكنّه في الوقت عينه يحمل تاريخاً عريقاً. وحدوده اليوم ليست إلّا بقايا موازين القوى التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى لكنّ هذا لا يعني أبداً أنّ لبنان لا يصلح أن يكون بلداً حرّاً مستقلاً فالتّجارب أثبتت أن التّاريخ والماضي وحدهما لا يصنعان الأوطان بل إنّها تبنى على أكتاف الذين يعيشون حاضرها ويسعون جاهدين لبناء مستقبلها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المراجع العربية والمترجمة إلى العربية

1- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (تحقيق 2009). الكامل في التاريخ (ط2). ج12. بيروت: دار احياء التراث العربي.

2- ابن الفقيه الهمداني، ابو عبد الله أحمد بن محمد بن اسحق (تحقيق 1996). البلدان (ط1). بيروت: عام الكتب.

3- ابن جبير، ابي الحسن محمد بن أحمد (1986). رحلة ابن جبير (ط2). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

4- ابو العينين، حسن سيد أحمد (1980). لبنان: دراسة في الجغرافية الطبيعية (لا ط). بيروت: دار النهضة العربية.

5- ابو شقرا، عارف (1953). الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية (لا ط.). بيروت: مطبعة الاجتهاد.

6- ارسلان، نسيب (1935). روض الشقيق في الجزل الرقيق (لا ط). دمشق: مطبعة ابن زيدون.

7- باقر، طه (2007). ملحمة كلكامش (ط. خ). دمشق: دارالمدى للثقافة والنشر.

8- باقر، طه (2011). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (ط1)، ج2. بغداد: دار الوراق للنشر.

9- برنهردت، كارلهاينز (1999). لبنان القديم (ط1). تر. ميشيل كيلو. دمشق: قدمس للنشر والتوزيع

10- البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر بن داوود (تحقيق 1988). فتوح البلدان. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

11- بن يحي، صالح (1898). تاريخ بيروت (لا ط). بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين.

12- بولس، جواد (1973). لبنان والبلدان المجاورة (ط2). بيروت: مؤسسة بدران.

13- بيضون، ابراهيم (1993). لبنان في العهدين الأموي والعباسي: لبنان في تاريخه وتراثه (ط1). ج1. بيروت: مركز الحريري الثقافي: أبحاث وتوثيق.

14- بيهم، محمد جميل (1969). عروبة لبنان: تطورها في القديم والحديث (لا ط). بيروت: دار الريحاني.

15- تدمري، عمر (1992). لبنان: من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الأخشدية 132- 358هـ/ 750- 969م (ط1). طرابلس (لبنان): جروس برس.

16- جرمانوس، اسعد (1996). أصول المارونية السياسية وجذور الحريات اللبنانية (ط1). بيروت: دار المراد.

17- حتي، فيليب (1959). لبنان في التاريخ: منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر (لاط). تر. أنيس فريحة. بيروت- نيوريوك: مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر (نشر العمل الاصلي 1957).

18- حقي، اسماعيل (تحقيق 1969). لبنان: مباحث علمية واجتماعية (لا ط.)، ج1. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية.

19- حكيم، انطوان (2008). لبنان في القرن العشرين، لبنان الكبير، من المتصرفية إلى الجمهورية (1918- 1926): كتاب لبنان التاريخ والجغرافيا والقوى السياسية (ط1). بيروت: لا دار نشر.

20- خليفة، عصام (1993). الحرب العالمية الأولى، اتفاق سايكس بيكو حول بلدان المشرق العربي 1914- 1918: لبنان في تاريخه وتراثه (ط1). ج2. بيروت: مركز الحريري الثقافي: ابحاث وتوثيق.

21- رستم، اسد (1966). بشير بين السلطان والعزيز 1804- 1841 (ط2). ج1. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية- قسم الدراسات التاريخية.

22- زين، زين نور الدين (1977). الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان (ط3). بيروت: دار النهار.

23- سبيتي، مصطفى حمود (2008). لبنان في العهد المملوكي: أهم الآثار الدينية في لبنان (ط1). بيروت: دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع.

24- الشهابي، حيدر أحمد (1969). لبنان في عهد الأمراء الشهابيين: كتاب الغُرز الحسان في أخبار ابناء الزمان. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية.

25- صالح، عبد العزيز (2012). الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق (لا ط.)، ج1. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

26- الصليبي، كمال (1992). منطلق تاريخ لبنان (ط2). بيروت: دار نوفل.

27- الصليبي، كمال (1993). جبل لبنان في عهد المماليك 1291- 1516م: لبنان في تاريخه وتراثه (ط1). ج1. بيروت: مركز الحريري الثقافي: أبحاث وتوثيق.

28- طبارة، شفيق (1965). الامام الاوزاعي (ط1). بيروت: مؤسسة الخدمات الاجتماعية بالاوزاعي.

29- طرابلسي، فواز (2008). تاريخ لبنان الحديث من الامارة إلى اتفاق الطائف (ط3). بيروت: رياض الريس للنشر.

30- طربين، أحمد (1966). أزمة الحكم في لبنان: منذ سقوط الاسرة الشهابية حتى ابتداء عهد المتصرفية 1842- 1861 (ط1). دمشق: دار الفكر المعاصر.

31- فوستنفلد، فرديناند (1886). فخر الدين أمير الدروز ومعاصروه (لا ط.). تر. بطرس شلفون. لبنان: الجمعية الملكية للعلوم.

32- قرباه، ملحم (1978). تاريخ لبنان السياسي (لا ط.) بيروت: الأهلية للنشر.

33- كوثراني، وجيه (1978). الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي 1860- 1960 (لا ط). بيروت: معهد الانماء العربي.

34- لوتسكي، ايفانوف (1985). تاريخ الأقطار العربية الحديث (ط8). بيروت: دار الفارابي.

35- مزهر، يوسف (1956). تاريخ لبنان العام. بيروت: لا دار نشر.

36- مصطفى، أحمد عبد الرحيم (2003). في أصول التاريخ العثماني (ط3). القاهرة: دار الشروق.

37- اليعقوبي، احمد بن اسحاق (تحقيق 1988). كتاب البلدان. بيروت: دار احياء التراث العربي.

ثانياً- المراجع الأجنبية

1- A. Ismail, Histoire du Liban du XXVII siècle à nos jours, Redressement et déclin du féodalisme libanais (1843-1868), Vol.4, Beyrouth, 1958, p.207

2- CF. L. Badre, Le nom du Liban écrit sur les pierres, l'argile et le papyrus, dans C. Aboussouan, Le Livre et le Liban, Paris, p.17-p.20

3- G. E. Von Grunebaum, Medieval Islam, A Study in Cultural Orientation, The University of Chicago Press, p. 199

4- H. J. Katzenstein, The History of Tyre, Jerusalem, 1973, p.28

5- H. ST. J. Thackeray, Josephus Contra Apionem, Loeb Classical Library, Vol. 1, p.121-p.125

6- J. Richard, "Croisade et mission en terre d'Orient: la participation française (XIIe - XVe siècles)",dans Réveils missionnaires en France, p.19, Extrait du Colloque de Lyon organisé le 23 – 31 Mai, 1980

سياسات القطاع النفطي في لبنان

إعداد

لمى شمص، أسامة رجَّال، ولينا العزير

إشراف

البروفيسور برهان الدين الخطيب

مقدمة

يشمل قطاع النفط الإطار العام للصناعات النفطية الذي يدخل تحت لواءه استكشاف النفط والغاز والمشتقات البترولية كافة، والتنقيب عنها واستخراجها، كما وتكريرها ونقلها بالإضافة إلى الصناعات البتروكيماوية وسلاسل توريدها. ويدخل أيضًا في إطار قطاع البترول المشاريع البحثية حول مواضيع القطاع والمسارات التعليمية والتدريبي للكادر البشري فيها.

شكل النفط ولا يزال منذ اكتشافه عام 1859 وحتى الآن أحد أهم أسباب الصراع في العالم، ففي ذلك العام حفر في الولايات المتحدة الأميركية أول بئر نفطي لتحدث بذلك نقلة نوعية هائلة في موضوع الطاقة ومن ثم الاقتصاد والسياسة والصراع والحروب والعلاقات الدولية، وقد شغل هذا الصراع على النفط مساحة كبيرة من خريطة الصراع العالمي طوال القرن الماضي، ومن المرجح أن يستمر هذا الأمر لفترة طويلة قادمة في القرن الحالي.

وتكمن أهمية قطاع صناعة النفط والغاز في أنّها واحدة من أكبر القطاعات في العالم من حيث القيمة السوقية الإجمالية، حيث تدر إيرادات عالمية تقدر بنحو 5 تريليون دولار سنويًا بحسب تقديرات العام 2022.[1] ويعد النفط أمرًا بالغ الأهمية للإطار الاقتصادي العالمي، حيث يؤثر

1- Rebecca Mcclay, **How the Oil and Gas Industry Works**, 24-09-2022, available on: https://www.investopedia.com/investing/oil-gas-industry-overview/, visit date: 12-03-2024.